عمل الضمير
في حياة الراهب

{١}
مار إسحق السرياني

📖 ٤٣ـ النية الصالحة في كل حين تؤنِّب وتبكِّت وتحكم النطقية ألا تكتب الشرور، وتبكت الحواس وتعظها ألا تعطي مادة رديه، بل أن تعين الإفراز حتى إذا انكتب شيء رديء تمحوه فلا يخرج للفعل.

📖 ٤٤ـ الضمير والتمييز والذهن، هم المرتِّبون والمطقِّسون وسُرُج كل بيت القلب.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر السادس ـ صفحة ١٩٠ ـ ١٩١

📖 حركات الجسد منفصلة عن حركات الروح، وإرادة الجسد منفصلة عن إرادة الروح، فلا يتخبط الطبع أبداً، ولا يكتم ما يخصه. بل لو انشغل الإنسان بزيادة، سواء بالخطية، أو بالفضيلة، فمن وقت لآخر، يحرك كل

طبع منهما إرادته، ويختلج بما يخصه.

🕮 الإنسان النقي الضمير ليس هو الإنسان الذي لا يعرف الشر، وإلا كان بهيمة. ولا الذين هم في منزلة الطفولية، ندعوهم انقياء بالفكر، ولا الذين لا يحزنون أبداً، فلسنا نطلب من البشر ما لا يخص المخلوقين. لكن نقاوة الضمير هي، النقاوة بالإلهيات، التي تكون بعد عمل فضائل كثيرة.

🕮 ولسنا نجسر ان نقول: ان مثل هذا الإنسان، الذي اقتنى النقاوة، لا يُمتحن بالأفكار، وإلا كان غير لابس جسد، لان الأمور المضادة لا ترتفع من الطبع قبل العالم المزمع.

🕮 وامتحان الأفكار لا يُفهم منه ان يتنازل الإنسان ويوافقها، بل يُقصد به «بدء الجهاد» مع الأفكار، المتحركة في القلب ... ولا يوجد إنسان – طالما هو في هذه الحياة – يكون خالياً من تذكار ما هو هنا وبريئاً ولو كان كاملاً مثل بولس الرسول.

🕮 الضمير الذي يتحايل دائماً أن يضع على نفسه نقائص قريبه، كما لو كان هو الذي قد أخطأ، ويبرر قريبه ويشجب نفسه، هذا هو ابن السلام.

🕮 الضمير الذي يتحايل لكي يقال عنه {المديح} من كثيرين ويُظن به أنه ليس فيه عيب، ولا يقطع أسباب الخسارة، بل قصده فقط أن يخفي الزلات التي صنعها بالغش والمكر، هذا هو عبدٌ غاش قد رهن نفسه للمديح البشري، وهذا يُمقَت من النعمة ويَظهر مكره.

🕮 الضمير الذي ابتُلع بمحبة صورة الله، ولا يهتم لنفسه في شيء أكثر مما يهتم لقريبه، ويعتبر نفسه بطالاً بقياس آخرين، هذا هو مكمل الوصايا. والضمير الذي يبكِّت نفسه ويعترف أنه غير مستحق، النعمةُ تعمل فيه. والضمير الذي اقتنى في داخله عزاءً خفياً، هذا في زمان الضيقات والتجارب ينتظر المزمعات.

🕮 الضمير الضجور المتكدر المتسجس، فرحه حزن، وعزاؤه ندامة.

🕮 والضمير الماكر يخفي غش قلبه، وهو بمراضاة الناس يأكل مخ عظام أصدقائه، وفي النهاية يثلبهم.

📖 والضمير الشيطاني بزلةٍ واحدة ينسى ربوة صلاح {إخوتنا}. وكل فكر يَعِد بالغلبة والمجد بسرعة بغير صلاة وفحص، اِعلم أنه يسبب لك خزياً، وإهانة.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ صفحة ١٦ ـ ١٧

📖 الذي كل فكر يصعد على قلبه بغتة يفعله بلا صلاة، ولا مشورة، ولا اختبار، ولا فحص النية، هذا ليس هو مفروز من البهيمة. وفي الآخِر يندم. الضمير النقي البسيط، هو مسكن النقاوة، والضمير الغاش القاسي، هو مسكن الآلام.

📖 الطِّيب الذي يصعد من اللبان {البخور}، تفوح رائحته حسب نوع المادة التي يتركب منها، وسلام، وفرح القلب، يُعطيان حلاوة في النفس، حسب المادة التي يتركب منها {السلام}.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ الميمر الأول ـ صفحة ٢٥

{٢}

القديس أنبا دوروثاؤس

📖 عندما خلق الله الإنسان جعل فيه غرساً إلهياً، قدرةً كلّها حيويّة وضياء، مثل الشرارة لإنارة الفكر ... هذا ما يُعرف بالضمير الذي هو الناموس الطبيعي. هذه هي الآبار، كما يقول الآباء، التي حفرها يعقوب وردمها الفلسطينيون {تك ٢٦: ١٥}. ان الأجداد وكل القدّيسين قد أرضوا الله بإتباعهم ناموس الضمير، هذا قبل ورود الناموس المكتوب.

📖 ولكن، بعد ان طمره الناس تدريجياً، وداسوه بأقدامهم من جرّاء خطاياهم، وجب علينا الالتجاء، إذ ذاك، إلى الناموس المكتوب، إلى الأنبياء القديسين، وأخيراً إلى مجيء ربّنا يسوع المسيح من أجل إخراجه إلى النور من جديد، وإيقاظه حتى تتقد هذه الشرارة المدفونة بواسطة ممارسة وصاياه المقدّسة.

📖 لذلك فانه باستطاعتنا الآن إما إطفاء هذه الشرارة من جديد، وإما

إشعالها حتى تتوقد وتنيرنا، ان وثقنا به وأطعناه.

🕮 لأنه إن أملى علينا ضميرنا شيئاً ما فازدريناه، وان كلمنا من جديد ولم نفعل ما يوصي به، مثابرين على ازدرائه، ننتهي إلى طمره {إسكاته} ولا يعود بالتالي، يستطيع ان يكلّمنا بوضوح بسبب الثقل الملقى عليه، بل يصبح كسراج خفت نوره بسبب الأوساخ، فأخذ يُظهر الأشياء أكثر غموضاً، وأشدّ ظلاماً.

🕮 وكما في ماءٍ عكرٍ لا يستطيع أحد ان يتعرّف إلى وجهه، هكذا نتوصل، شيئاً فشيئاً، إلى عدم التقاط صوت ضميرنا، إلى حدّ الاعتقاد تقريباً، بعدم وجوده، بينما لم يُحرم أحد منه كما قلنا، كونه شيئاً إلهياً لا يموت أبداً. لذلك يبكي النبي على أفرايم قائلاً: "ان إفرايم قد حطم خصمه، وداس الحكم" {هو ١٠: ١١} وما الخصم هنا إلا الضمير.

🕮 من هنا ما جاء في الإنجيل: "بادر إلى موافقة خصمك ما دمتَ معه في الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن" {متى ٥: ٢٥}. لماذا يدعو الكتاب الضمير خصماً؟ لأنه يُقاوم دوماً إرادتنا السيّئة. يوبّخنا ان لم نفعل ما يجب فعله، وأيضاً ان فعلنا ما لا يجوز فعله، وهو الذي يلصق بنا التهمة، لهذا السبب يسميه "خصماً"، ولهذا أيضاً كانت لنا النصيحة: "بادر إلى موافقة خصمك ما دمتَ معه في الطريق" والطريق، كما يفسّره القديس باسيليوس الكبير، هو العالم الحاضر. لذا اجتهدوا أيها الإخوة في ألا تهملوا الأشياء الصغيرة وألا تزدروها حاسبين إياها تافهة، في حين إنها ليست كذلك. انها قرحة وعادة سيئة.

🕮 فلنكن يقظين، ولننتبه إلى الأمور الخفيفة ما دامت بعد خفيفة، حتى لا تصبح أكثر خطورة. ان الفضيلة والخطيئة تبدان بأشياء صغيرة لكنها تقودان إلى أشياء كبيرة حسنة كانت أم سيئة.

🕮 "لئلا يسلمك خصمك إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقى في السجن". ويتابع: "الحق أقول لك إنك لا تخرج من هناك حتى توفى

آخر فلس"، لان الضمير هو الذي يكشف لنا الخير والشر، ويرشدنا إلى ما يجب ان نفعله أو ما يجب الا نفعله. وهو الذي سوف يتهمنا في الدهر الآتي. لذلك يقول السيد: "لئلا يسلمك إلى القاضي".

📖 الحفاظ على الضمير يأخذ أشكالاً مختلفة. يجب المحافظة عليه بالنسبة إلى الله، وإلى القريب، وإلى الأشياء المادية.

📖 بالنسبة إلى الله أوّلاً: بتعهدنا عدم ازدراء وصاياه، حتى في الأمور التي تغيب عن أنظار الناس، ولا يحسبون لها أيّ حساب، ان الذي يحافظ على ضميره من أجل الله في الخفية، يسعى إلى الا يهمل الصلاة، والا يفقد نباهته عندما ينشأ في قلبه أي هوى يدفعه إلى الانصياع.

📖 كما يتجنّب الشك بالقريب، والحكم عليه من خلال الظواهر، وذلك عندما يراه يفعل شيئاً أو يقوله.

📖 بكلمة: كل شيء يحدث في الخفية، ولا أحد يعلم به غير الله وضميرنا، يجب أن يسترعى تنبّهنا. هذا هو الضمير بالنسبة إلى الله.

📖 بالنسبة إلى القريب: يكون الضمير في عدم الإتيان بأي شيء يمكن ان يحزنه أو يجرحه ان بالقول أو بالفعل، بالتصرف أو بالنظر. وذلك لان هناك مواقف تجرح القريب، إذ كما أقول دائماً، يمكن لنظرةٍ واحدةٍ ان تجرحه.

📖 **خلاصة القول:** إن الإنسان يتأثر ضميرهُ في كل مرّة يشعر فيها انه يعمل بغية إقلاق القريب، لأنه يدرك نية الإساءة أو الأحزان. فلنحاول ألاّ نتصرف هكذا، وعند ذلك نحفظ ضميرنا من جهة القريب.

📖 بالنسبة للأمور المادية: يكون حفظ الضمير، في عدم استعمال هذه الأشياء المادية استعمالاً سيّئاً، وينبغي في حفظ الضمير أيضاً، ألا نسيء استعمال اللباس. لدينا غطاء من شعر ونبتغي استبداله بآخر أكثر جدّة وأجمل، وذلك بداعي الطيش أو القرف ... وإذا بنا نتطلع إلى أخينا ونقول: "لماذا هو يملك هذا وأنا لا أملكه؟ انه لسعيد حقاً".

📖 كذلك بالنسبة للأطعمة: يمكننا الاكتفاء بقليل من الخضار الطازجة، أو

المجففة، أو بقليل من الزيتون، ومع ذلك نفتش عن طعام أشهى وأكثر كلفة. كل هذا ضد الضمير.

{٣}

القديس يوحنا السلمي

📖 إذا كان ضميرنا ينخسنا بسبب مخازينا، فلنثابر على ذكر خطايانا بتوجع إلى أن يرى الرب صبرنا، صبر من يغصبون ذواتهم من اجله فيمحوها، وينقل حزن قلبنا الى فرح.

📖 ليكن لنا ضميرنا بعد الله رقيبا، ومرشدا، ومقياسا في كل شيء، حتى إذا عرفنا مهب الريح، رفعنا شروعنا مقابلها.

📖 الحس من خصائص النفس، والخطيئة تعنفه، وانتظام هذا التعنيف يؤول إلى تلاشي الإثم، أو نقصانه، أما ذاك الانتظام فوليد الضمير، وتوبيخ الضمير هو، صوت الملاك الحارس، الذي أعطيناه يوم المعمودية، لذلك نجد أن تقريع غير المعمدين لأنفسهم، هو على شيء كثير، من الإبهام والغموض.

{٤}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 فلنثبت إذاً يا أحبائي في مخافة الله، ولنحتفظ ونلاحظ ممارسة الفضائل، ولا نضعن عثرة لضميرنا، بل لنتيقظ لكي نثبت في مخافة الله إلى ان يتحرر الضمير معنا، حتى يتحقق التآلف بيننا وبينه، فيصير هو مرشدنا الذي ينبهنا إلى كل شيء قبل ان نخطئ فيه، أما إذا لم نخضع له، فسيبتعد عنا ويهجرنا، فنقع في أيدي أعدائنا الذين لا يرحموننا.

📖 فهكذا نقول: إن الضمير هو الخصم، لأنه يقاوم الإنسان إذا أراد ان يكمل شهوات جسده، فإذا لم يسمع حثه، سلمّه إلى أعدائه.

📖 شكرك لله وقت التجربة يطرد الأفكار الرديئة التي تأتي عليك، لا تظن ان أعمالك قد أرضت الله، فتنال معونة الله لتحفظك، لان من يكرس قلبه للسعي الحقيقي نحو الله بالتقوى، لا يستطيع أن يظن انه أرضى الله حقاً، فما دام ضميره يبكته على شيء من مخالفات الطبيعة، فهو ما يزال غريباً عن الحرية، أي انه طالما هناك مَن يوبخ، فهناك إذاً من يشتكي، وطالما هناك من يشتكي فليست هناك حرية.

📖 فان رأيت في النهاية حين تصلي انه ليس شيء من الخبث يشتكي عليك، عندئذ تكون قد صرت بالحقيقة حراً، ودخلت إلى راحة الله المقدسة حسب مشيئته.

📖 وإذا رأيت إن الثمرة الصالحة قد نمت، وزوان العدو لم يعد يخنقها، وان المحاربين قد ارتدوا إلى الوراء، وليس من أنفسهم بقصد أن يخدعوك، بل لأنك لا تجاهد بعد مقابل حواسك.

📖 الجود {العطاء} يلد الذكاوة، والأتساع يولد الآلام.

📖 ٣- لنقف بثبات في مخافة الله. ممارسون للفضيلة بحزم، دون أن نعطى لضميرنا سببا للعثرة.

📖 دعنا نحتفظ في مخافة الله بإنتباهنا، محصورا داخل نفوسنا، حتى يتحرر ضميرنا، حينئذ سيكون هناك اتحاد بينه وبيننا. من ثم سوف يكون حارسنا، وموجهنا الى كل ما يجب استئصاله.

📖 ولكن اذا لم نطع ضمائرنا، فسوف تتركنا {مخافة الله}، ونقع في ايدي اعدائنا، الذين لن يتركوننا ابدا. هذا هو ما علمنا اياه رب المجد، عندما قال: «كن مراضيا لخصمك سريعا ... لئلا يسلمك الخصم الى القاضي، ويسلمك القاضي للشرطى. فتلقى في السجن» {مت.٥:٢٠}.

📖 الضمير يسمى الخصم. لأنه يقف في مواجهتنا، عندما نشتهي ان نتمم شهوتنا الجسدية. اذا لم نسمع للضمير، فسوف يسلمنا ليد أعدائنا.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ ترجمة واعداد ـ الراهب أغاثون الأنطوني ـ صفحة ٢١



{٥}
قديسون أخرون

📖 ١٠٩ـ ليس كل إنسان يتجرع سكرات موت الضمير، إما هنا، أو فى العالم الآتي، إلا هؤلاء الذين يخطئون ضد الإيمان، والمحبة.

📖 الضمير يعذب المؤمنين عذابا أليما دون رحمة، عندما يقبضون على سيف الغيرة المسلول. وكل من يقاوم الخطيئة يتعزى جسده، لكن من يخضع لها يتعذب ويتألم حتى يتوب، وإذا لم يتب يستمر عذابه فى الحياة الآخرة إلى الأبد.

كتاب الفيلوكاليا عن صلاة القلب ـ القديس غريغوريوس السينائي ـ صفحة ٧٩



{٦}
توما الكمبيسي ـ الإقتداء بالمسيح

📖 فخر الرجل الصالح، شهادة ضميره الصالح كن صالح الضمير، تتمتع بفرح دائم. الضمير الصالح يستطيع احتمال شدائد كثيرةٍ جدا، وفي وسطها لا يبرحه الفرح الجزيل.

📖 أما الضمير الشرير، فمتخوف، مضطرب على الدوام.

📖 ما أعذب راحتك، إن كان قلبك لا يبكتك! لا تفرح إلا إذا أحسنت الصنيع. ليس للأشرار فرح حقيقي، وهم لا يشعرون أبداً بالسلام الداخلي، لأنه لا سلام للكفرة، يقول الرب.

📖 فإن قالوا: نحن في سلام، ولا تحل بنا الشرور ومن يجسر أن يضرنا؟ ـ فلاّ تصدقهم، لأن غضب الله يثور بغتة فتتلاشى أعمالهم، وتهلك تدابيرهم. الافتخار بالضيق ليس صعباً على المحب، لأن افتخارا كهذا إنما هو افتخار بصليب الرب.

كتاب الإقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ١١٨



نقي الضمير يقنع ويرجع بسهولة.

إنك لا تزداد قداسة إن مدحت، ولا حقارة إن ذممت.

أنت ما أنت، ولا يمكن أن تحسب أعظم مما أنت عليه في حكم الله.

إن اعتبرت ما أنت عليه في داخلك، فلا تبالي بما يقول فيك الناس.

الإنسان الى الوجه ينظر، أما الله فإلى القلب.

الإنسان يلتفت الى الأعمال، أما الله فيزن النيّات.

حسن الصنيع دوماً مع استصغار الذات، هو علامة النفس المتواضعة.

كتاب الإقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ١٢٠



في فرح الضمير الصالح:

فخر الرجل الصالح، شهادة ضميره الصالح كن صالح الضمير، تتمتع بفرح دائم. أما الضمير الشرير، فمتخوف، مضطرب على الدوام. ما أعذب راحتك، إن كان قلبك لا يبكتك! لا تفرح إلا إذا أحسنت الصنيع. الافتخار بالضيق ليس صعباً على المحب، لأن افتخارا كهذا إنما هو افتخار بصليب الرب.

مجد ذوي الصلاح في ضمائرهم، لا في أفواه الناس.

مسرّةّ الصديقين من الله وفي الله، وفرحهم من الحقيقة.

من رام المجد الحقيقي الأبدي، لا يأبهّ للزمني.

ومن طلب المجد الزمني، أو لم يحتقره بكل قلبه، فقد أظهر قلة حبهّ للسماوي. إنه لفي طمأنينةٍ قلب عظيمة، من لا يبالي بالمديح ولا المذمة. نقي الضمير يقنع ويتدع بسهولة.

إنك لا تزداد قداسة إن مدحت، ولا حقارة إن ذممت.

أنت ما أنت، ولا يمكن أن تحسب أعظم مما أنت عليه في حكم الله.

إن اعتبرت ما أنت عليه في داخلك، فلا تبالي بما يقول فيك الناس.

الإنسان يلتفت الى الأعمال، أما الله فيزن النيّات. رفض التعزيات

من كل خليقة، دليلٌ على طهارةٍ عظيمة وثقة داخلية.

من لا يطلب لنفسه شهادة من الخارج، يوضح أنه قد استسلم استسلاماً كاملا، إذ ليس من وصى بنفسه هو المذكي، بل من وّصى به الله. فالسلوك مع الله في الداخل، والتحرّر من كل ميل في الخارج، تلك هي حال الإنسان الداخلي.

كتاب الإقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ١٢٠ ـ ١٢١



{٦}
كتاب فردوس الآباء

قال أنبا بامو: إن كان لك قلب {أي ضمير حي} يمكنك أن تخلص.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢٥



قيل عن أنبا بامو: جاء أخوان يومًا ما إلى أبّا بامو، فسأله أحدهما:

يا أبي، إنني أصوم يومين ثم آكل خبزتين، فهل هكذا أخلص، أم أنني أسلك طريقًا خاطئًا؟

وسأله الآخر: يا أبي، إنني أربح درهمين كل يوم من عمل يديَّ، وأحتفظ بالقليل لأجل طعامي، والباقي أتصدَّق به، فهل بهذه الطريقة أخلص أم أهلك؟

وظلاّ هكذا يسألانه لوقتٍ طويل، ومع ذلك لم يُجبهما الأب.

وبعد أربعة أيام كان عليهما أن يرحلا، فشجعهما الكهنة قائلين: لا تضطربا أيها الأخوان، فالرب سيعوضكما، إنّ هذه هي عادة الشيخ الا يتكلم بسهولةٍ حتى يوحي له الله، ويُلهمه بما يقوله.

فذهبا إلى الشيخ وقالا له: صلِّ من أجلنا يا أبانا.

فقال لهما: أتُريدان أن ترحلا؟

فقالا: نعم. فاهتم بموضوعهما، وبينما كان يكتب على الأرض قال لهما: إذا صام بامو يومين معًا ثم أكل خبزتين فهل بهذه الطريقة

يصير راهبًا؟ كلاّ. وإذا عمل بامو ليربح درهمين ثم يعطي منهما صدقةً، فهل بهذا يصير راهبًا؟ كلاّ، ولا بهذه الطريقة أيضًا.

📖 ثم قال لهما: أعمالكما جيدة، ولكن إذا راعى كلٌّ منكما ضميره إزاء قريبه، فحينئذٍ يخلص". فاقتنعا وذهبا فرحَيْن.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢٥ ـ ٤٢٦

📖 **سأل إخوةٌ شيخًا:**

📖 أخوان سألا أنبا بامو قائلَيْن: نحن نصوم يومين يومين، ومن شغل أيدينا نُطعِم المساكين، أتُرى نحن نخلص أيها الأب أم لا؟

📖 فقال لهما: إن كنتما تحفظان سريرتكما مع هذه الأمور تخلصا.

📖 فما هو حفظ السريرة؟

📖 فأجاب الشيخ: حفظ السريرة هو: إذا صوَّم الإنسان جسده من الخبز، يصوِّم سريرته من الأفكار الرديئة. وإذا دفع صدقةً يدفعها من أجل الله، لا من أجل مجد الناس. لأنّ المتوحدين ليس بأعمال الجسد فقط يُرضون الله. بل وبتدبير الذهن، ونقاوة القلب.

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٢٦

📖 **قال تلميذ أنبا ثيئودور:**

📖 جاء اليوم إنسانٌ يبيع بصلاً، وملأ طستًا منه.

📖 فقال لي الشيخ: إملأ طستًا بالقمح وأعطه له.

📖 وكانت توجد كومتان من القمح: إحداهما نقيّة، والأخرى غير نظيفة. فملأتُ له طستًا من القمح غير النقي.

📖 فنظر إلى الشيخ بغضبٍ وأسفٍ، ومن الخوف سقط مني الطست وانكسر. ولما صنعت ميطانية أمام الشيخ

📖 قال لي: قم، فهذا ليس خطأك، بل خطأي، لأنني قلتُ لك.

📖 ثم دخل وملأ حجره بالقمح النقي وأعطاه للبائع مع البصل!

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٤٧٨

📖 **قال أنبا أبرام عن أنبا أغاثون إنه كان يقول:**

📖 يجب على الراهب ألاّ يدع ضميره يلومه في أمرٍ من الأمور.
كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٦٦٨

{٨}
القديس أنبا مكاريوس

📖 **الضمير وملكات القلب:**

📖 **٣٤-** فأنت ترى أن الضمير لن يهمل، أو يترك الأفكار التي تستجيب للخطية، بل يحكم عليها في الحال.

📖 وهو لا يكذب، بل يشهد بما ينبغي أن يقوله أمام الله، في يوم الدينونة، كأنه يقوم بمحاكمتنا بصفة مستمرة.

📖 فاذا افترضنا أن هناك مركبة ولجم، فان الخيل، وكل جهاز العربة، انما هي تحت سيطرة سائق واحد، فحينما يشاء فانه يجعل المركبة تحمله بسرعة عظيمة، ومتى شاء فانه يستطيع أن يوقفها.

📖 واي طريق يريد أن يميل اليها، فان المركبة تسير معه حسب ما يوجهها، فالمركبة هي تحت سلطان السائق.

📖 وبنفس الطريق فان القلب له ملكات طبيعية كثيرة مرتبطة به.

📖 فالعقل، والضمير، هما اللذان يوبخان القلب ويقودانه، يوقظان الملكات الطبيعية التي تنبع في القلب.

📖 أن النفس لها أعضاء كثيرة، رغم انها هي واحدة.

📖 **٣٥-** ومن الوقت الذي فيه تعدى آدم الوصية، دخلت الحية إلى الداخل، وجعلت نفسها سيدة البيت، وصارت كأنها نفس ثانية إلى جانب النفس. لأن الرب يقول "من لا ينكر نفسه، ومن لا يبغض نفسه، فلا يكون لي تلميذاً" {لو ١٤: ٢٦، ٩: ٢٣}

📖 وأيضاً من حب نفسه فسيهلكها" {مت ١٠: ٣٩}.
كتاب عظات القديس مكاريوس - العظة الخامسة عشر - صفحة ١٢٠ - ١٢١



🕮 **معنى خمس كلمات بذهني:**

🕮 **٨- سؤال:** ما معنى الآية التي تقول "ولكن في كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهني" {١كو ١٤: ١٩}؟

🕮 **جواب:** أن كلمة كنيسة تفهم بطريقتين:

🕮 الجماعة، أي جماعة المؤمنين. ثم اجتماع النفس معاً.

🕮 فحينما تفهم الكلمة على الشخص الإنساني، يكون المقصود هو الإنسان ككل متكامل معاً، وهنا تكون خمس كلمات تعني مجموع الفضائل التي تبني الإنسان كله، بطرق متنوعة.

🕮 فكما إن، الذي يتكلم في الرب، يفهم كل حكمة بخمس كلمات، هكذا الذي يطيع الرب، فانه يبني كل تقوى، بواسطة الفضائل الخمس، لأنهم خمسة ولكنهم يشملون الجميع:

🕮 الأولى الصلاة. ثم التعفف. ثم البذل والعطاء. ثم الفقر الاختياري.

🕮 والصبر. وهذه إذ تتمم باشتياق وقصد ثابت، فإنها كلمات النفس التي ينطقها الرب، والتي تسمع في القلب. أن الرب يعمل.

🕮 ثم الروح يتكلم بدون صوت.

🕮 والقلب يتمم جهراً وظاهراً ما يشتاق ويرغب.

🕮 **٩-** ولكن كما أن هذه الفضائل تشتمل على كل الفضائل الأخرى، هكذا أيضاً فإنها تتوالد من بعضها البعض.

🕮 فاذا نقصت الأولى، تسقط الباقية.

🕮 وبالمثل فانه بواسطة الثانية، يتبعها الباقي وهكذا.

🕮 لأنه كيف يصلي الإنسان بدون أن يكون تحت فاعلية الروح؟

🕮 والكتاب يشهد معي هنا حينما يقول "لا يستطيع أحد أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" {١كو ١٢: ٣}.

🕮 وأيضاً كيف يستمر الإنسان في التعفف بمثابرة بدون الصلاة، وبدون معونة ونعمة؟ والذي هو غير متعفف، كيف يصنع رحمة، ويعطي الجياع والمتضايقين؟



🕮 والذي لا يصنع رحمة ويحسن، لن يقبل الفقر باختياره.

🕮 وأيضاً فإن الغضب هو قريب، وصديق لمحبة المال والطمع، سواء كان الإنسان يملك المال، أو لا يملكه.

🕮 ولكن الإنسان الفاضل هو الذي يبني في الكنيسة، ليس بسبب ما فعله، بل بسبب ما اشتاق إليه واشتهاه.

🕮 فالذي يخلص الإنسان ليس هو عمله الخاص، بل يخلصه ذلك الذي يمنحه القوة. لذلك أن كان أحد يحمل "سمات الرب" {غل ٦: ١٧}، فلا يظن نفسه عظيماً، حتى لو كان قد نجح في كل عمل، بل لينظر فقط إلى المحبة التي في قلبه، واهتمامه، واجتهاده أن يعمل.

🕮 لذلك لا تظنوا أنكم قد سبقتم الرب بفضيلتكم، وذلك بحسب المكتوب "انه هو العامل فيكم أن تريدوا، وان تعملوا لأجل المسرة" {في ٢: ١٣}.

كتاب عظات القديس مكاريوس ـ العظة السابعة والثلاثون ـ صفحة ٢٦٤ ـ ٢٦٥

{٩}

القديس ثؤفان الناسك

حراسة الضمير وفحصه

🕮 يا أخي استعمل كل الوسائل كي تحتفظ بنقاوة ضميرك، في الأفكار والأقوال، والأعمال، ليكن دائما بلا لوم.

🕮 ولا تجعله يبكتك، أو يؤاخذك لإي شيء.

🕮 إن فعلت هذا سيتقوى ضميرك، في سائر أعمالك الداخلية والخارجية. وإذ يصير رقيبا على كل حياتك، سيحكمها حكما عادلا مضبوطا. إن الضمير النقى يجعل حياتك بلا لوم، لأنه يكون آنذاك حساساً، وقويا للخير ضد الشر.

🕮 والضمير هو الناموس الموضوع من الله في قلوب البشر، كي يلقى

ضوء على حياتهم، ويرشدها إلى الطريق الصحيح، كما يعلم بولس الرسول داعيا إياه "عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم" رو ٢:١٥

🕮 وعلى أساس هذا القول يعطى القديس نيلس السينائى النصيحة الآتية: "في كل أعمالك اتبع إرشاد ضميرك، كسراج يضئ".

🕮 يوجد أربع مجالات للاتصال، ينبغي أن تحفظ ضميرك بلا عيب فيها، وهي: علاقتك بالله ـ وبالنسبة لذاتك ـ ولأقربائك ـ ولكل شيء بين يديك. أنت تعرف هذا ولكن سأذكرك بالنقط الهامة:

🕮 **بالنسبة لله:** داوم على تذكرك الله، وسر في حضرته، انتبه إلى ذاتك من حيث أن قوة الله هي التي تحملك، وتحبك، وسر نحو هذه الغاية، التي من أجلها دعاك إلى الوجود.

🕮 أوقف نفسك، وكل ما تملك لخدمة الله، ومجد اسمه، عش فيه، وثق به، وسلمّ له مصيرك الزمنى، والأبدي لعلاقتك.

🕮 **بالنسبة لذاتك:** كن عادلا مع نفسك، وأعطها حقها من كل جزء في وجودك، اجعل روحك التي تطلب الله السماوي والأبدي، تحكم على نفسك وجسدك، المجعولان لوظائف الحياة الزمنية.

🕮 عودّ نفسك طاعة ما تمليه الروح، وتحنى عنق العقل للحق المعلن من الله، وهكذا تعمل في كل مجال، لتحفظ مشيئة تدابير الوصايا الإلهية. ولا تسمح لها أن تشرد نحو ميولها الخاصة، لتعلم أن قلبك لا يجد عزائه إلا في الأمور الإلهية فقط، وفى الأشياء التي تحمل الطابع الإلهي، والمعبرة عنه.

🕮 وبهذه الروح دع نفسك ترتب، وتدبر شئونها العامة، والخاصة في الحياة اليومية، وأعط لجسدك ما يحتاجه، مراعيا مقياسا حازما، متبعا كلام بولس الرسول إذ قال "لا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات" رو ١٣:١٤.



📖 **بالنسبة للأقرباء:** احترم الكل كأنهم صور الله.
📖 أطلب الخير للجميع، وأصنع الخير للجميع كلما قدرت على ذلك.
📖 اتضع للكل، وأطلب رضى الجميع في حدود ما هو للخير.
📖 افرح مع الفرحين، واحزن مع الحزانى. لا تدن أحدا.
📖 لا تخفى الحقيقة إن كنت تعرفها، عن أولئك الذين يطلبون منك إرشادا، أو نصيحة، ولكن لا تفرض نفسك على أي إنسان كمعلم من تلقاء نفسك. وفوق كل شيء احتفظ بالسلام، والو فاق مع جميع الناس، مستعدا لتقديم أي تضحية لأجل هذا الغرض. واحرص كل الحرص ألا تضل أحدا.

📖 **وبالنسبة للأشياء:**
📖 احترم كل الأشياء كخلائق الله. استعملها واحفظها لمجد الله.
📖 ارضى بما لك مهما كان، واشكر الله عليه.
📖 لا ترتبط بأي شيء، ولا يتعلق قلبك بأي شيء، ويرتبط به ارتباطا يعوقه عن الحياة مع الله، واعتبر كل الأشياء وسائل خارجية، وأدوات كي تكون متحررا في تناولك لها، فلا تصير قيودا، أو عقبات في طريقك الصحيح. لا تسمح لذاتك أن تعتمد على هذه الدعامات الواهية. لا تتفاخر بممتلكاتك. ولا تحسد ممتلكات الآخرين.
📖 تجنب حشد الأموال والقنية، ولا تضل في الأمور غير الصالحة.
📖 كل إنسان مضطر أن يلاحظ هذا كله في كل يوم، بصورة، أو بأخرى، غالبا في كل خطوة.

📖 **كيف تتصرف حسنا:**
📖 أولئك الراغبون أن يتصرفوا حسنا، ويتوقون للخلاص، يسلكون كما بينت، محاولين الايخطئوا في أي شيء من هذه الأمور، ولا يلوثون ضميرهم. ولكن رغم كل جهادهم، تتسلل إلى قلوبهم أفكار، ومشاعر خاطئة. وأحيانا أعمال خاطئة غير ملحوظة. تغطى وجه

الضمير النقى بالتراب، حتى أنه في نهاية اليوم نادرا ما يفلت إنسان من نتائج هذا. مثل عابر الطريق الذي يجتاز في طريق مترب، فيعلو التراب عينيه وأنفه وفمه وشعره، ويغطى وجهه كله.

🕮 هذا هو السبب في أن كل إنسان تواق للخلاص، لابد لـه أن يفحص ضميره في المساء، ويرى الأمور الخاطئة التـي وافقتهـا الأفكـار. أو الكلام، أو الأفعال، فيغسلها بالتوبة: بمعنى أنه يعمل ما يفعله المسافر الذي عفره التراب. فإن الأخير يغسل نفسه بالماء، أمـا الأول فيطهـر ذاته بالتوبة، والندامة، والدموع.

🕮 فحص الذات هذا يجب أن يشـمل كـل الأمـور الصـالحة والطالحـة، الجيدة والشريرة، من كل النـواحي الموضـحة فيمـا سـبق. إن وجـدت أمرا حسنا فـي ذاتـه، أنظـر عمـا إذا كـان حسـنا بسـبب الانطباعـات، والأهواء الخاصة.

🕮 كذلك ينبغي أن يكون صحيحاً في طريقة ممارسته، والميل نحوه.

🕮 وفى ظروف فعله، لئلا تكون في عملك مصوتا بالبوق أمامك، لكي تمجد ذاتك بدون إعطاء المجد لله مع أعمال كامـل للـنفس، وتغاضـى عن الذات.

🕮 **لاحظ نفسك:** إن وجدت أمرا خاطئا قد فعلتـه، افحـص كيـف حـدث لك فعل هذا. عندما يكون لك رغبة دائمة لتعمل ما هو صـحيح فقـط، أوجد الأسباب الخارجية والداخلية التي أدت إليه.

🕮 **كيف تحكم نفسك:** في هذه الحالة كي لا تخطئ، ولماذا لم تقم بهـذا حينئذ دون أن تلوم أشخاصا، أو أشياء، بل نفسـك فقـط. قـرر بفطنـة، يجـب عليـك أن تسـلك فـي المسـتقبل كـي تتجنـب الخطيـة فـي هـذا الظرف، والظروف المماثلة.

🕮 وأقم قانونا حازما لنفسك، لتنفذ قـرارك بـلا حيـود، أو إشـفاق علـى

النفس، أو طلب الراحة. وبهذا تستخدم حتى الأمور غير النقية، كي تخصب حقل نفسك.

📖 **نهاية فحص النفس:** في نهاية هذا الفحص، قدم الشكر لله من أجل كل الأشياء التي وجدتها صحيحة، دون أن تنسب أي شيء منها لنفسك، ذاكرا قول الرسول: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا" في ٢:١٣. و "بدون الله لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" يو ١٥:٥.

📖 لذلك قدم شكرا لله، واتبع هذا المثال لتزيد غيرتك، و "امتد إلى ما هو قدام" في ٣:١٣.

📖 وبالنسبة للأمور الخاطئة تب، واندم قدام الله، لائما نفسك أن الخبز الذي قدمته له لم يكن نقيا تماما، بل مختلطا بشوائب.

📖 وصمم بشدة أن تراقب نفسك في اليوم التالي، وألا تسمح بأي خطأ يتسلل، ليس في القول والفعل فقط، بل وفى الفكر أيضاً.

📖 أن الذين يراقبون ذواتهم يتممون كل هذا، أي الفحص في خلال يومهم، والنتيجة المترتبة، حتى أنه في المساء يكون فحص الضمير مجرد إعادة نظر لما تم أثناء اليوم، مع التصحيح والتقويم.

📖 ألا توافق الطريقة الأخيرة أفضل، وهي طبيعية، فلا يخفى على الضمير أي شيء خاطئ. اجتهد أن يكون لك ضمير طاهراً.

📖 أريد أن أضيف نقطة، أو اثنتين على هذا الموضوع:

📖 افحص أعمالك بصرامة شديدة، وابحث عن أسبابها، مصدرا حكما بلا رحمة على نفسك. وكلما غصت عميقا في كل ما يحدث فيك، وما يحدث منك، زاجرا للأمور الخاطئة، ومثبتا للأمور الصالحة كلما تنقى ضميرك. فكلما كانت البئر عميقة، كلما كان ماؤها أنقى.

📖 وبمجرد أن يتعلم الضمير عما هو خير، وما هو شر، لا يكف عن طلب أفعال الخير، ويزجر أفعال الشر فقط. ولكن أيضاً أن يكمل

معرفته عن الأول والآخر. أو حتى تكون لـه "الحـواس مدربـة علـى التمييز بين الخير والشر" عب ٥:١٤. ويقتنى لنفسه بصيرة قوية.

📖 ويبقى في هذا الحـس إلـى مدى معين، معتمـدا علـى قـو ى الـنفس الأخرى، وبالأخص على أحكام الفهم. ولكن إلى أن يتنقى القلـب مـن الأوجاع، لا يعتمد على الفهم دائما، لأنه قد يصدر أحكاما كثيرة تغيم على الضمير، وتضلله، فيأخذ الأسود كأنه أبيض.

📖 لذلك طالما أنت لم تزل مقاوما للأوجاع، ففـى فحصـك لـذاتك ضـع أعمالك أمام مرآة كلمة الله، واسترشد بها، لمعرفة نوع هـذه الأعمـال وقيمتها. زيـادة علـى ذلـك لا تكـن كسـولا، أو خجـولا عـن زياراتـك المتكاثرة لأبيك الروحي.

📖 ابدأ فحص أعمالك، واختمها بصلاة حارة، سـائلا الـرب أن يعطيـك عيونا، تنظر ما في أعماق قلبك "لأن القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس من يعرفه" إر ١٧:٩.

📖 "لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر" ١مل ٨:٣٩.

📖 هناك احساس خاطئ يكون أحيانا مخفى فـي القلـب، وأحيانـا يتسـلل إلى أفعال الإنسان، وأحيانا يكاد لا يلاحـظ، ويتـنجس بنتانـة الخطيـة، لذلك صلى مع داود النبي "من الخطايا المستترة أبرئنى" مز ١٩:١٢

كتاب المحاربات الروحية ـ الجزء الرابع ـ صفحة ٤٧ ـ ٤

{١٠}

القديس أوغسطينوس

فى أن عذابَ ضمير الخاطئ

هو شرٌّ عذاب

📖 كثيرة هي ضيقاتي، وفي كل منها، أفزع إلى الله.

🕮 إن حزنت لأمور عائلية، أو صحية، أو لخطر يتعرض له إنسان تحبّه. أو لما هو ضروري لقيام هذه الحياة الحاضرة، فلا يجوز أن تلجأ إلاّ إلى مخلّصك وإلهك فتجد قوة لديه، على أنه لا شرَّ من عذاب الخطيئة، في كل ما يحل بالإنسان من عذبات في هذه الدنيا.

🕮 مهما يكن عذابك، فإن سلمت من كل جرح في ضميرك، وكان باطنك سليماً، يمكنك أن تفزع إليه فتجد الله، أمّا إذا لم تجد فيه {الضمير} راحةً لغياب الله عنه، ولوفرة الآثام فيه، فماذا تصنع؟

🕮 وأين تهرب من العذاب والضيق؟

🕮 سوف تهرب من الريف إلى المدينة، ومن الساحة العامة إلى بيتك، ومن عتبة الباب إلى مخدعك، ويظّل الضيق تابعاً لك.

🕮 وهل تهرب من مخدعك إلاّ إلى سريك؟

🕮 وإذا كان سريرك قلقاً، عابقاً بدخان الشر، مضطرماً إثماً، فلا يمكنك أن تفزع إليه، بل تُطرد عنه، ثم تطُرد عن ذاتك. وها إنكَ تجد عدوك في المكان الذي فزعت منه إليه، وأين تهرب من ذاتك؟

🕮 حيثما تهرب تجّر ذاتك، وحيثما تجرّ ذاتك تعذّب ذاتك بذاتك. وتجد الضيقات عينها، وهي ليست أقسي من ذي قبل، ولا يسعها ذلك لأنها ليست باطنية أكثر من سواها.

🕮 حين يختار العمّال الخشب أو ينبذونه، يبدو غالب الحيان مخدشاً عفناً، بيد أن نظرة العامل إليه لا تتوقف على خارجه، بل تلج إلى داخله، حتى إذا وجده سليماً، أبقاه في البناء ولم يقلقه منظره الخارجي، طال ما أن الباطن منه صحيح. وبالعكس، إن لم يكن الضمير الباطني سليماً، فما نفع الخارج السليم، والعمود الفقريّ للضمير نخر.

🕮 ضميرك هو بيتك الداخلي، إن كان شريراً، طردك منه إلى الخارج، ولا يسعك أن تسكن فيه بحريتك. وتخرج منه ذاتك

بإرادتك، وتحاول أن تجد اللذة فى المادة حولك، وتسعي إلى أن تستريح فى الترهّات والمسارح والدعارة، وكل ما هو عاطل. وتحاول أن تجد ذاتك مرتاحاً خارجاً عن ذاتك، إذ ليس لك ملجأ باطني تجد فيه نفسك مرتاحاً فى ضميرك.

🕮 وماذا تصنع أيها الشرير متى حلّت بك التجربة؟ لن تجد تعزيةً لا فى الداخل، ولا فى الخارج، ولن تستطيع أن تخرج إلى مكان، وكل مكان قاس عليك، ولن تجد مكاناً تدخل إليه، وكل مكان شر.

🕮 تعزيتك ليست فى الخارج، ولا فى الداخل.

🕮 ليست فى الخارج، حيث الضيق. وليست فى الباطن، لأنه شر، ولا يمكن للإنسان أن يرتاح إلى الشر. ومن كان شريراً كان شريراً مع نفسه، ولا مقّر له من العذاب، لأنه هو ذاته لذاته عذاب.

🕮 ومن عذّبه ضميره كان عذاباً على نفسه.

🕮 إذا كان العائدون إلى بيوتهم، يَشْقَوْنَ خوفاً من أن ينقلب عليهم ذووهم ويخونوهم، فما أشقي الذين يأبون الرجوع إلى ضميرهم، مخافة أن تطردهم منها معارك آثامهم.

🕮 تقدسّ تماماً بخوف الله، تقدس جسداً وروحاً.

🕮 إن كان برّ الجسد والروح ناقصاً، كان العمل ناقصاً.

🕮 هناك من يتنزهون عن أعمال السوء، ولا يتجنبون أفكار الشر، يطهّرون الجسد دون الروح. وأي نفع لك من طهارة الجسد، إذا كان الساكن {الفكر} فى الجسد فاسداً؟

🕮 إن عشت حياة شر، ولو صمت اللسان، جدفّت على الرب بحياتك: "ولا سلام للمنافقين يقول الرب" أشعيا٤٨:٢٢.

🕮 وماذا ينفعك الترنيم بلسانك، إذا كان الإثم يفوح من حياتك؟

🕮 بارك الرب بحياتك، ولسانك، وقلبك، وفمك، وكلامك، وأخلاقك.

🕮 وسبحه تسبيحاً خالياً من كل تناقض.

🕮 وعليك أن توفق بين اللسان، والحياة، والشفاه، والضمير، لئلا يكون الكلام الصالح شاهداً على أخلاق عاطلة.

عواطف وصلوات

🕮 إلهي، إلهي، كم أنا شقيّ ومغرور؟

🕮 كنت أبحث عمّا أحب، وأهوي الحبّ ضجراً في حياتي المطمئنة الهادئة، ومن سبلي الخالية من كل فخ.

🕮 وحرمت باطنياً ذاك الفداء، الذي هو أنت، يا إلهي، ولم اعمل بدافع من هذا الجوع، ولا كانت لي رغبة البتة في طعام غير فاسد.

🕮 لا، لأني أخذت منه كفافي، بل لأن فراغاً أكبر يحدث تقززاً أكبر.

🕮 وساءت حالُ نفسي المغطاة بالقروح، وانطرحت خارجاً عن ذاتها، وراحت تتوق إلى دغدغة الكائنات المحسوسة.

🕮 إن المشاهد المسرحية المليئة بصور عن بؤسي، وبما كانت تتغذي منه النار التي تلتهمني، تخلبني وتجرني وراءها.

🕮 كنت أفرح بالعشاق الذين يستمتعون بإثمهم، وإن يكن ذلك خداعاً وعلى المسرح، وحين يضيعون عن الواقع تأخذني الشفقة عليهم فأكتئب، وما أحب هاتين العاطفتين على قلبي.

🕮 وهل من غرابة في أن يكسوني برص مخجل، أنا النعجة الضالة في قطيعك، التي لم تعد تطيق الحياة تحت نيرك.

🕮 ويا لفظاعة الإثم الذي فيه ارتميت، مصغياً إلى فضول دنس يقودني بعيداً عنك. لكن رحمتك الأمينة في تتبع أثري. من بعيد، كانت تبدو حائمة حولي، وفي كل ذلك كنت تجلدني.

🕮 يا إلهي ورحمتي، كم من مرارة سكبت فوق تلك الحلاوات حباً بي.

🕮 فيا ما أحسنك يا عذوبة ذقتها متأخراً.

🕮 يا رب، يا من كنت ساكتاً، ساعة هربتُ منك، راكضاً في أثر ما كان سبب آلامي العقيمة، المتكاثرة بدافع من كبرياء سافلة، وتعب لا

راحة بعده.
📖 يا للسبل المعوجة! الويل للنفس المجازفة، التي ابتعدت عنك، راجية ما هو أفضل منك. إذا أنقلب الإنسان أولاً وثانياً على ظهره وجنبه وبطنه، وجد كل شيء خشناً، إنما أنتَ وحدك الراحة.
📖 أنت حاضر بيننا لتخلّصا من الأضاليل الدنيئة، وتضعنا على طريقك وتعزينا قائلاً "أسرعوا سوف أحملكم، وأوصلكم إلى هدفكم، وهناك أرعاكم".
كتاب خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية ـ للقديس أوغسطينوس ـ صفحة ١٦١ ـ ١٦٣

فى غبطة الضمير الصالح

📖 إن كنت حقاً تقياً، فالله يساعدك من الداخل، حيث لا يري أحد.
📖 وكما أن الضمير هو عذاب كبير للأشرار، هكذا هو عينة، فرح عظيم للأبرار، ولمَ تسعي إذن وراء خيور هذا العالم، التي تخدع العيون البشرية واللحمية؟، اختر ما يجب أن يكون في قلبك، كن مليئاً بالخير من الداخل، حيث يري الله، ولا يري الإنسان.

📖 **أصغ إلى الرب:** "إياك أن تعمل برّك بمرأى من الناس لكي ينظروا إليك" متى٦:١. وفي أعمالك الصالحة العلنية، لا تبحث عن مجدك، بل عن مجد الله. اقنع بمن يري ما فى الباطن.
📖 وأعمل على أن يكون محباً، ومحبوباً من الباطن، ذاك الذي صنع إنسانك الباطني، وما فيه من جمال. المسيح يري ضميرك فيحبك فيه، وفيه يتحدث إليك، ويعاقبك، ويكافئك.
📖 إن خلوت من الجمال الباطني، فأي نفع لك من كلّ ما سواه؟
📖 كن تقياً، يكمن لك فى قلبك أمان وسلام، شرط أن يظلّ إيمانك يقظاً، لأنه إن نام هلكت.
📖 ضربت الأمواج السفينة وكان يسوع نائماً، لمّا قام انتهر الأمواج والعاصفة فزال الخطر، وحدث هدوء عظيم.

📖 على قلبك أن يظلّ هادئاً، طال ما أن المسيح ساهراً، فتصل أنت أيضاً إلى الميناء. إن من هيأ السفينة، لا ينسى الميناء.

📖 هنيئاً لك فرحُك حين تدخل إلى قلبك، ولا تجد شراً. نق فؤادك لتتمكن من الدخول إليه مرتاحاً: "طوبي للأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله " متى٥:٨.

📖 أنزع منه أوساخ الشهوات، وآفة البخل، وطاعون الخرافات.

📖 وأنزع منه ما به انتهكت الأقداس، ونقّه من الأفكار الشريرة، والبغضاء. أرفع هذه كلها منه، وأدخله تجد فيه غبطتك.

📖 ومتى بدأت تفرح فيه، تبتهج بنقاوة قلبك، وتندفع إلى الصلاة.

📖 إذا جئت إلى مكان راحة وهدوء، وارتفعت فى أجوائه، ربما تقول: لنصلّ ها هنا، لأن شروط هذا المكان تروقك، فيحملك إيمانك على الاعتقاد بأن الله سوف يستجيبك. إن كنت تسر بتآلف الأجواء فى مكان ما، فلمَ لا تغتاظ من فساد ما فى قلبك؟

📖 أدخل إلى قلبك ونقّه، وأرفع لحاظك إلى الله، يستجيب لك.

📖 ولكن، متى بدأ ضميرك أن يكون صالحاً على هذه الأرض، فلن تتخلص من التجارب، قبل أن يبتلع الموت {العادات القديمة المهلكة}، بالغلبة {العادات المقدسة الجديدة}، ويلبس هذا الجسد المائت، ما لا يموت، لأن شيئاً من الضعف لا يزال قائماً. ولا مفر لك من بعض التجارب والآلام. سوف يطهرّ الله كل شيء فيك، وينجيك من كل تجربة فاسعَ إليه.

📖 يستطيع النمّام أن يعطّل صيتك، ولكنه لا يستطيع أن يفسد ضميراً نقياً. إن كآبة المظلوم لأفضل من غبطة الظالم.

📖 لا تحتقرْ نفسك إن كنت فقيراً فى بيتك وغنياً فى ضميرك فالغني فى ضميره يرتاح فى نومه على الحضيض، أكثر من الغني النائم على أرجوانه.

📖 والقلب الجريح بالإثم، لا يتألم من الاضطراب الخبيث.

📖 أحفظ فى قلبك الثروة التي حملها إليك فقر الرب إلهك، وأجعله حارساً لها، لئلا تَهَلك عطيّته لك، وأقمه عليها أميناً.



عواطف وصلوات

📖 أيها الرب، كن لي إلهاً يحامي عني، ويبقي ملجأ لخلاصي" مزمور٣٠:٣. كن لي بيت ملجأ، وإلهاً محامياً، حينا أكون فى خطر.

📖 وأريد أن اهرب إلى أين؟ وإلي أي مكان أمين اهرب؟

📖 إلى أي جبل؟ إلى أي كهف؟ وتحت أي سقف محصّن؟

📖 إلى أية مدينة؟ ونحو أية أسوار؟

📖 أستطيع أن أهرب من كل ما أريد، خلا ضميري.

📖 أدخلُ بيتي، وأستريح فى سريري، وأدخل إلى ذاتي، حيث لا يسعني أن أجد محلاً أكثر عمقاً منه، وأفرع إليه من ضميري متى كانت خطاياي تنهشني.



📖 أسرعْ فخلصني، وفي برك خذني، غافراً لي آثامي، ومشيداً عدلك فيَّ. إليك افزع يا بيت ملجأي. وإين أهرب بعيداً عنك؟ إن صعدت إلى السماء فأنت هناك، وإن اضطجعت فى الجحيم فأنت حاضر" مزمور١٣٨:٨. وإين توجهت وجدتك.

📖 إذا غضبت وجدتك مستعداً للانتقام.

📖 وإذا هدأ غضبك مددت إلى يد المساعدة.

📖 لم يبق لي سوي أن اهرب، لا إلى البعيد، بل إلى جوارك.

📖 من الإنسان أفزع، إلى حيث لا يكون.

📖 ومنك أفزع إليك، إذ ليس من محلّ أستطيع أن أهرب إليه منك.

📖 منْ لي إذن بيت ملجأ. إذاً لولا خلاصي، فكيف يسعني أن أهرب؟

📖 أشفني فأفزع إليك. إن لم تشفني فلا يسعني أن أمشي، وبالتالي كيف يمكنني أن اهرب؟؟

{١١}
كتاب الحرب الغير منظورة

الفصل الثامن
في حراسة الضمير وفحصه

📖 استعمل يا أخي كل الوسائل كي تحفظ طهارة ضميرك في الأقوال، والأفكار، والأفعال. ليكن ضميرك على الدوام غير ملوم، فلا تسمح له بتبكيتك، أو تأنيبك على أي شيء.

📖 وإن عملت هكذا، فإن ضميرك سيرسَّخ في سائر الأمور الداخلية، والخارجية أيضاً، ويصبح سيداً على حياتك، يحميها ويدير شؤونها على نحو جيد. فالضمير الطاهر يجعل حياتك عديمة العيب، وغير ملومة، لأنه ينزع إلى الخير، ويمج الشر.

📖 الضمير هو ناموس اللـه المغروس في قلوب الناس، يساعدهم على إنارة سبيل حياتهم، ويرشدهم إلى الصراط القويم، كما علَّم بولس الرسول: "عمل الناموس مكتوب في قلوبهم" رو٢: ١٥.

📖 وعلى قاعدة هذا القول يقدم القديس نيلوس النصيحة التالية: "في كل شؤونك اقتفِ إرشاد ضميرك لأنه سراج ينير".

📖 ثمة أمور أربعة ينبغي أن تصون ضميرك فيها: علاقتك باللـه. علاقتك بنفسك. علاقتك بأنسبائك وجيرانك. علاقتك بكل ما هو في متناولك. أنت تعرف هذا، إلا أني سأذكرك بالأمور الأكثر أهمية:

📖 {١} علاقتك باللـه:

📖 واظب على ذكر اللـه، واسلك دائما في حضرته.

📖 انتبه إلى نفسك، فقوة اللـه هي التي تحملك، وتحبك، وتحميك.

📖 اسلك نحو هذا الهدف، فمن أجله دعاك إلى الوجود. نحن في الوجود لا لنأكل ونشرب، وننجب، ونجمع المال، ونطلب المجد والشهرة، إن هذه كلها هي تفاهات يعلق بها أبناء الدنيا.
📖 كرس نفسك وكل ما عندك لخدمة اللـه، ومجد اسمه.
📖 عش فيه، ثق به، وسلم له كل أمورك، الزمنية منها والأبدية.

📖 ٢ــ علاقتك بنفسك:

📖 كن منصفاً مع نفسك، وأعطها حقها مما في وجودك.
📖 اجعل روحك الطامحة إلى اللـه تحكم على جسدك ونفسك، فقد أناط اللـه بهما دوراً في الحياة الزمنية.
📖 درب نفسك على طاعة ما يمليه الروح، وكن منصاعاً للحق المعلن من اللـه، بهذا تسلك في كل شيء، فتحفظ مشيئة اللـه وتدبير وصاياه.
📖 لا تدع نفسك تشرد إلى ميولها ونزعاتها.
📖 واعلم أن قلبك لا يجد عزاءه إلا في الإلهيات، وفي كل ما يحمل طابعاً إلهياً، أو يعبر عنه، بهذه الروح دع نفسك تسوس شؤونها العامة والخاصة في الحياة.
📖 أعط جسدك حاجته، جاعلاً للأمر مقياساً، وكن حازماً حسب قول الرسول: "لا تصنعوا تدبيراً للجسد من أجل الشهوات" رو٨: ١٤.

📖 ٣ــ علاقتك بأنسبائك وجيرانك:

📖 احترم الجميع، ففيهم صورة اللـه.
📖 أطلب الخير لهم مبادلاً الجميع بالخير، قدر المستطاع.
📖 اتضع أمام الجميع، طالباً رضى الجميع في حدود الخير.
📖 افرح مع الفرحين، واحزن مع الحزانى.
📖 لا تدن أحداً، ولا تحتقر أحدً، لا بالفكر، ولا بالشعور. لا تحجب الحق إن كنت تعرفه، عن الذين يسألونك النصح والإرشاد.
📖 لا تفرض نفسك على أحد، كما لو كنت معلماً من تلقاء ذاتك.

وفوق كل هذا احتفظ بالسلام، والوفاق مع الجميع، مستعداً لكل بذل وتضحية، من أجل هذا الهدف، انتبه كل الانتباه في ألا تضل أحداً.

٤– بالنسبة للأشياء:

احترم كل الأشياء على أنها خليقة اللــه، استعملها وصنها لمجد اللــه. ارض بما لك، وأشكر اللــه على ذلك. لا تلتصق بأي شيء، ولا يعلق قلبك بشيء يعيقه عن الحياة مع اللــه.

اعتبر أشياء العالم أموراً خارجية، ومجرد أدوات، وذلك كي تنعتق لدى تعاطيك بها، فلا تكبلك وأنت في الدرب الصحيح.

لا تسمح لذاتك بالاتكال على هذه الركائز الضعيفة "القابلة للكسر".

لا تتباهى بما تملك. لا تحسد الآخرين على ما يملكون.

تحاش تكديس الأموال، وروح الامتلاك.

لا تضل في الأمور غير الصالحة.

على كل إنسان أن ينتبه لهذه كل يوم، بشكل أو بآخر، عند كل محطة وخطوة. وإن كنت تعيش باستقامة، فهذا يجعل ضميرك صالحاً، فتتشبه بالرسول بولس عب١٣: ١٨.

إن الذين يرغبون أن يحيوا باستقامة وهم غيارى على الخلاص، يسلكون كما قلت، مجاهدين كي لا يخطئوا في أي من هذه الأمور، فيبقى ضميرهم غير ملطخ.

لكن رغم جهاداتهم، تنسل أفكار ومشاعر خاطئة، وكلمات خاطئة، وأعمال خاطئة، فلا يلاحظونها، وأحياناً يرونها، فيتغطى بالتراب وجه الضمير النقي.

حتى أنه في نهاية اليوم، قلما ينجو أحد من نتائج ذلك، على مثال المسافر الذي يجتاز طريقاً يعج بالغبار، فيمتلئ أنفه وعيناه وفمه وشعره بالتراب، ووجهه أيضاً.



📖 فالذي يحن إلى الخلاص، لابد له من فحص الضمير عند المساء، ليرى الأمور الخاطئة التي أقرت بها أفكاره، مع كل الكلمات، والأفعال الأخرى، فيغسلها كلها بالتوبة.

📖 فهو يحذو حذو المسافر الذي علق به التراب، المسافر يغسل وجهه بالماء، أما الأول فيغتسل بالندامة والانسحاق والدموع.

📖 وفحص الذات لابد أن يشتمل على التدقيق في كل الأمور، الصالحة منها والرديئة، الجيدة والخبيثة، ومن كل الجوانب، كما بينت سابقاً.

📖 فإن رأيت أمراً صالحاً بحد ذاته، انتبه لترى إذا كان صالحاً من جهة الانطباعات، والأهواء، والنية.

📖 وأيضاً ينبغي أن يكون صائباً من جهة طريقة ممارسته، وموقفك منه بعد إتمامه، وذلك لترى إذا كان قد جرى تحت تأثير ما، من أجل منفعة الناس، أو بداعي التساهل، والإشفاق على الذات. دقق أيضاً في ظروف إنجازه، كي لا تكون كمن ينفخ بالبوق أمام نفسه، فيتمجد من ذاته دون أن يمجد الله.

📖 العمل الصالح، صحيح هو، إن كان قائماً على الطاعة لمشيئة الله ومجده، مع رفض للذات ونسيانها. وإن عثرت على أمر معوَّج سبق أن قمت به، دقق في سبب اقترافه عندما تكون راغباً في القيام بعمل سليم. يكفي أن تعرف البواعث الداخلية والخارجية التي أودت إلى ذلك، وكيف ستحكم نفسك كي لا تخطئ، ولماذا لم تقم بالأمر الموافق في حينه دون أن تنزع إلى ملامة الآخرين، أو تعزو السبب إلى أمور مختلفة، فقط إلى نفسك.

📖 فكر كيف ينبغي أن تسلك فيما بعد كي تتجنب الوقوع في الخطيئة في كل الظروف. اجعل لنفسك ناموساً، قانوناً، ونفذ ما عزمت عليه بدون شفقة، أو تساهل مع الذات.

📖 وهكذا تستطيع أن تستخدم الأمور غير النقية كي تنمي بستان قلبك.

🕮 وبعد كل هذا، ارفع الشكر للـه من أجل الأمور التـي رأيتهـا سليمة وصائبة، دون أن تنسب أيًّا منها لنفسك.
🕮 تـذكر كـلام الرسـول: "لأن اللــه هـو العامـل فيكم، أن تريـدوا وأن تعملوا" في٢: ١٣. "بدون اللـه لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" يو١٥: ٥.
🕮 لذا بادر إلى رفع الشكر للـه "وامتد إلى ما هو قدام" في٣: ١٣.
🕮 أما من جهة الأمور غير الحسنة، فتب عنها أمـام اللــه، وبـادر إلـى ملامة نفسك، فالقربان الذي قدمته للـه، لم يكن نقياً، بـل امتزجـت بـه الشوائب. صمم على مراقبة نفسك فـي اليـوم التـالي، ولا تسمح لأي خطأ بالدخول إليك في القول، والفعل، والفكر.

🕮 فالذين يتيقظون، يفحصون ذواتهم يومياً، وفي المساء يكـون فحـص الضـمير مجـرد اسـترجاع لنشـاطات اليـوم المنصـرم، وذلـك بقصـد التحسين والتقويم، ألا ترى أن السبيل الأخير حسن، فأنت بذلك تجعل الضمير عارفاً بكل شيء. والضمير سيضطرب إذا لمح خطأ ما.
🕮 وهكـذا فإنـه سيسـكن ويهـدأ بفعـل ملامـة الـنفس، فالرغبـة بالسـيرة الحسنة لاحقاً، خير من تأجيل الأمور حتى المساء.
🕮 وأريد أن أضيف بضع كلمات على هذا الموضوع: بادر إلى فحص نفسك بحزم شديد، وباحثاً عن أسباب كل أعمالك، واحكم على نفسك بدون هوادة. وكلما توغلت فيما يحدث فيك، أو يصـدر عنـك، تحـذف الأمور الخاطئة، وتثبـت الحسـنة، فتسـرع أكثـر فـي تنقيـة ضـميرك، تماماً كما أن الماء الأطيب هو في البئر الأعمق.

🕮 وعندما يتعلم الضمير ما هو صـائب، ومـا هـو منحـرف، لـن يطلـب إلا تلك الحسنة، مشمئزاً من السيئة. ولكن البلوغ إلى التمييز بين هذه وتلك {عب٥: ١٤} يستوجب عينين ترى.
🕮 وقبل ذلك، يكون الضمير معتمداً على قوى النفس الأخرى، لاسـيما قوة العقل، ولكن العقل نفسه يمكن أن يُسلب ويُرْتشَـي، قبـل أن يكـون

القلب قد بلغ النقاوة، والتطهر من الأهواء.

📖 فالعقل ينزع قبل نقاوة القلب، إلى المبررات، التي من شأنها أن تحجب عين الضمير وتضللها، فتأخذ الأبيض بالأسود والعكس.

📖 فما دمت تجاهد ضد الأهواء، فعند فحص الذات، بادر إلى وضع كل أعمالك أمام مرآة كلمة الله، واسترشد بها في تقرير نوعية أعمالك وقيمتها.

📖 لا تتوان، أو تخجل من زيارة أبيك الروحي لأكثر من مرة.

📖 بادر إلى فحص أعمالك، والانتهاء منها بصلاة حارة، طالباً من الرب أن يهبك عينين تبصران أعماق القلب "فالقلب خدَّاع" ار١٧: ٩.

📖 الله وحده فقط هو الأعظم من قلوبنا ايو٣: ٢،

📖 فهو وحده فقط عرف قلوب الجميع ١مل٨: ٣٩.

📖 هناك مشاعر خاطئة متجذرة في القلب "راجع باب القلب في كتاب" اليقظة والصلاة"، وكثيراً ما تتسل إلى أعمالنا دون أن نلاحظها، فتفسد كل شيء، بدنس الخطيئة. لذا صل مع داود قائلاً: "من الخطيئة الدفينة اشفني" مز١٩: ١٢.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ـ ٢٥٣ ـ ٢٥٧

{١٢}

القديس مرقس الناسك

📖 ٦٨ـ الجيران أحرار جدا بالنصيحة، ولكن حكمنا الخاص هو الأفضل.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١١

📖 ٦٩ـ إذا كنت تريد صحة روحية، فانصت الى ضميرك، وافعل كل ما يقول، لك وسوف تنتفع.

كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١١



📖 ٧٠ - الله وضميرنا يعرفان أسرارنا. فدعهم يقوموننا.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١١١

📖 ٧١- المطر لا يمكن أن يسقط بدون سحابة، ونحن لا نستطيع أن نرضى الله بدون ضمير صالح.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٣٠

📖 ١٨٥- الذي لا يواظب على فحص ضميره، لن يكابد معاناة جسدية من أجل الله {أي من وجد نفسه لا يحتمل تعبا جسديا من أجل الله، يجب أن يراجع ضميره لأنه غير نقي - م}.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢١

📖 186- الضمير هو كتاب الطبيعة.
📖 ومن يطبق ما يقرأه هناك، سوف يختبر معونة الله.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢١

📖 ١٩٨- الضمير الصالح يوجد من خلال الصلاة، والصلاة النقية من خلال الضمير. وكل منهما بالطبيعة يحتاج الآخر.
كتاب الفيلوكاليا ـ المجلد الأول ـ في الناموس الوحي ـ القديس مرقس الناسك ـ صفحة ١٢٢

{١٣}

القديس مكسيموس المعترف

📖 ٣٢- هناك ثلاثة أشياء تدفعنا تجاه ما هو مقدس: "الغريزة الطبيعية - القوات الملائكية - واستقامة النية".

📖 **الغريزة الطبيعية:** تدفعنا عندما على سبيل المثال، نفعل للآخرين ما نتمنى أن يفعله الآخرين لنا، أو عندما نرى شخصاً ما يعاني حرماناً، أو في احتياج، ونشعر على نحو طبيعي بالشفقة {في الغالب المقصود بالغريزة الطبيعية هنا، هو الضمير}.

📖 **والقوات الملائكية:** تدفعنا عندما تكون أنفسنا مدفوعة لشيء ما ذو شأن، فنجد إننا مُعانين، ومُرْشَدِين برعاية إلهية.

📖 ونكون مدفوعين باستقامة النية: إذا كنا عند المفاضلة بين الخير والشر، نختار الخير.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثانية - صفحة ٦٨

📖 **٨٠-** لا تتعامل مع ضميرك باحتقار، لأنه ينصحك دائماً لكي تفعل ما هو أفضل. إنه يضع أمامك مشيئة الله والملائكة، إنه يحررك من الأدناس السرية التي للقلب، وعندما ترحل من هذه الحياة فهو يؤمن لك عطية العلاقة الحميمة الله.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس مكسيموس المعترف - المئوية الثالثة - صفحة ٩٣

{١٤}

القديس طلاسيوس الليبي

📖 **٧١-** الضمير معلم حقيقي، ومن يسمع له لن يُعثر.

📖 **٧٢-** فقط هؤلاء الذين وصلوا إلى ذروة الفضيلة، أو الشر، هم الغير منقادين بضمائرهم.

📖 {الفضلاء: لأنهم لا يعتمدون على حكم ضمائرهم، في حكمهم على الأمور، بل على مرشدين آخرين ليقوموا حكم ضمائرهم.

📖 والأشرار: لان يرفضون السماع لضمائرهم على خطأ ما يصنعون، ولكنهم يعتقدون بصحة ما يصنعونه من شرور، بناءاً على حكم مرشدين أشرار}.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس طلاسيوس الليبي - المئوية الأولي - صفحة ٣٠١

📖 **٩١-** الضمير النقي ينهض النفس، ولكن الأفكار الدنسة تحط منها.

الفيلوكاليا - الجزء الثاني - القديس طلاسيوس الليبي - المئوية الأولي - صفحة ٣٠٢

